معارك محمد علي

مواقف المتحاربين

في شهر جمادى الاولى من عام ١٢٢٩ هـ . – ١٨١٤ م . وهو الشهر الذي توفي فيه الإمام سعود وبويع لابنه عبد الله بالإمامة ، كانت المواقف الحربية للجانبين المتحاربين كما يأتي :

١ – محمد علي في مكة ، يستعد لغزو عسير واليمن .. وابنه طوسون في الطائف ، يستعد لاستئناف القتال في تربة .

٢ – الامام عبدالله بن سعود في الدرعية يجهز لنفسه جيشاً يؤدب به العربان الذين ساعدوا المصريين .. وأخوه فيصل يستعد لقتال المصريين في جبهة تربة ..

وجاءت الحركة الاولى ، لهذه الجيوش المتحفزة للحركة ، من ناحية محمد علي ، الذي رأى أن خصومه ، في عسير ، يعتمدون كثيراً في تموينهم على (القنفذة) بحراً ، و (تربة) براً ، فقرر الاستيلاء على هذين الموقعين !..

ويقول الجنرال فيغان إن عدد جنود محمد علي لم يكن يتجاوز يومئذ أربعة آلاف مقاتل ، ثم جاءه من مصر ثلاثة آلاف رجل ، فأصبح عدد جنده سبعة آلاف ، ولكنه كان يدّعي أن جيشه يضمّ خمسة وثلاثين ألف مقاتل ، ليخدع أعداءه ويوهن عزائمهم !

معركة القنفذة

يقول بلايفر إن محمد علي كان يطمع في ثروات اليمن – وخصوصاً بنّها المشهور – وكانت خطته تتلخص باستخدام الشريف حمود لمحاربة النجديين ، ثم التخلص من الشريف حمود والإستيلاء على بلاده ، ثم التغلغل في اليمن ، بحيلة الإتفاق مع إمامها على قتال النجديين ...

أرسل محمد علي إلى الشريف حمود مندوباً اسمه (الآغا يوسف) ، يطلب مؤازرته ضد النجديين ، فتهرب حمود من الجواب ، فتابع المندوب طريقه إلى صنعاء ، وهناك أحسن إمام اليمن وفادته ، ولكنه اعتذر له عن محاربة نجد ، واكتفى بالإذن له باستخدام عدد من الداوات في نقل الجنود المصريين عبر البحر الأحمر !.

لم يحقق المندوب ما كان ينشده محمد علي عند إمام صنعاء والشريف حمود من المؤازرة ، ولكنه عاد يحمل اليه أخباراً كثيرة عن عسير واليمن ، وفي مقدمتها أن ميناء القنفذة سهل المأخذ ، باسط ذراعيه للفاتحين !.

وهكذا أرسل محمد علي خمسة عشر ألف جندي إلى القنفذة ، وعقد لواءهم لحسين آغا وزين أوغلو .

هاجم المصريون القنفذة في جمادى الثانية من عام ١٢٢٩ هـ. ، وكان هجومهم عليها من البر والبحر في وقت واحد ، وقد رموا حاميتها المؤلفة من خمسمائة مقاتل عسيري بالمدافع والقذائف ، ولما يئست الحامية من جدوى المقاومة طلبت

الأمان وسمح لها بالجلاء عن البلدة ، ودخلها (العساكر المصريون ، وليس بها غير أهلها، فقتلوهم وقطعوا آذانهم وأرسلوها إلى مصر ليرسلوها إلى استانبول) [١].

استولى المصريون على القنفذة بسهولة ويسر ، ولكنهم ارتكبوا غلطة حربية هائلة ، وهي أنهم لم يستولوا على العين التي تمد القنفذة بماء الشرب، فأسرع طامي ابن شعيب (أبو نقطة) إلى الإستيلاء على العين وحبَسَ الماء عن القنفذة ، ثم طوّق البلدة بثمانية آلاف مقاتل ، فأراد المصريون فك الحصار والوصول إلى الماء فعجزوا عن ذلك وسقط منهم قتلى كثيرون وأصبحوا مهددين بالموت عطشاً ، فرأى قادتهم أنه لم يبق لديهم سوى وسيلة واحدة للنجاة من الموت ظمأ أو الأسر وهي .. العودة إلى جدة ، فأسرعوا إلى سفنهم الراسية في الميناء لا يلوي أحد على أحد ، تاركين كل ما كان معهم من خيل ومتاع ومؤن وخيام وسلاح ..فجاء رجال عسير ، الذين يقودهم البطل الشجاع طامي وأخذوا كل ذلك غنيمة [٢] .

معركة زهران :

في أواخر سنة ١٢٢٩ هـ. أرسل محمد علي جيشاً مؤلفاً من بضعة آلاف مقاتل إلى وادي زهران للاستيلاء عليه واتخاذه قاعدة ومنطلقاً للحركات الحربية ، لما لهذا الموقع من قيمة (استراتيجية) عظيمة ، وربما كان له من وراء ذلك غرض آخر وهو الانتقام من (طامي) الذي استرد القنفذة واضطر المصريين الى الهرب بحالة مزرية !

يقدر ابن بشر عدد أفراد الحملة المصرية إلى وادي زهران بعشرين الف مقاتل من الترك والمغاربة، وهذا العدد مبالغ فيه كثيراً، وأما عدد المدافعين عن وادي زهران ، تحت قيادة زعيم تلك الناحية الشيخ بخروش علاس، فلم (يحدّده)، وإنما اكتفى بالقول أن طامي أمدّه بعشرة آلاف مقاتل ، (وانضمت اليه طوائف شعلان .. وابن دهمان .. وابن حابس .. وغيرهم ، وحصلت المواقعة بين الترك

---

(١) ابن بشر .
(٢) الجبرتي .

وبين تلك الجنود الحجازية والتهامية قرب حصن بخروش واقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهزم الترك هزيمة شنيعة ، فغنم المسلمون خيامهم ومحطتهم وزهبتهم وأزوادهم وبغالهم ، وقتل من الترك مقتلة عظيمة ، أكثر من ألف ، ولم يسلم منهم إلا من هرب على الخيل) .

هل طلب محمد علي الصلح ؟

مني محمد علي بالهزيمة في القنفذة وزهران ، وانهزم ابنه طوسون في تربة وضرب عليه الحصار في الطائف ، فلماذا لم يسرع عبد الله الى قتال محمد علي وابنه وهما في هذه الحالة من الضعف والإنكسار ، وتركهما يستردان أنفاسهما وينتظران آمنين مدداً جديداً من مصر ؟

.. ولماذا شغل عبد الله نفسه بقتال عربان من مطير وحرب قبل القضاء على الخطر الأكبر الذي يتهدده ؟

.. ولماذا أرسل ، بعد ذلك ، أخاه فيصل الى تربة ، ليكون قائداً لجموع المسلمين هناك ، مع أنه كان مطالباً ، في تلك اللحظات الحرجة ، بأن يتولى هو نفسه القيادة ويضرب ضربته الحاسمة ؟

الخلاف بين أبناء سعود :

يشير بعض المؤرخين الى اختلاف وقع بين أبنـــاء سعود كان سبباً في إضعاف عبد الله واضطراب سياسته وبطء تحركاته .. ونحن لا نملك عن هـــذا الخلاف وآثاره إلا قدراً محدوداً من الحقائق ، بل إشارات غامضة ، كالتي جاءت في إحدى مقامات الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ حيث يقول :

(توفي سعود وهم غزاة على ما كان معيناً لهذا المعسكر من البوادي فأخذوا وغنموا ، فبقي لهم من الولاية ما كانوا عليه أولاً ، إلا ما كان من مكة والطائف وبعض الحجاز .

وبعد وفاة سعود ، تجهزوا للجهاد ، على اختلاف كان من اولئك الأولاد ، فصاروا جانبين :

– جانباً مع عبد الله .

– وجانباً مع فيصل .

ونزل عبد الله (الحناكية) ، ونزل فيصل (تربة) ، باختيـــار وأمر من أخيه له) .

ويقول الشيخ عبد الرحمن أيضاً إن محمد علي حج سنة ١٢٣٠ هـ. وكتب الى فيصل بن سعود يطلب منه أن (يصالحه على الحرمين ، فأبى فيصل وأغلظ له الجواب ، وفيما قال :

(لا أصلح الله منا من يصالحكم حتى يصالح ذئب المعز راعيها)

ومعنى ذلك أن الأمير فيصل رفض عرضاً للصلح من غير أن يستشير في ذلك أخاه الإمام !..

معركة بسل

كان محمد علي داهية، فأعلن، بعد هزيمة جيشه في زهران ، أنه سوف يحارب النجديين حرباً لا هوادة فيها ولن يدعهم حتى يخرب عاصمتهم الدرعية ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، فأمر جماعة من جنده أن يطوفوا في شوارع مكة بأحمال من بزر البطيخ ، ويقولوا للأهالي إنهم يريدون زرعها في أراضي الدرعية، بعد تهديمها وتحويلها إلى أرض للزراعة !.. [1]

كان ذلك نوعاً من الحرب النفسية ، ولكنه كان اسلوباً ناجحاً قوّى عزائم جنده وأخاف خصومه ، فلم يسرعوا إلى قتاله ، وهكذا استطاع محمد علي أن ينتظر آمناً ورود الإمدادات الجديدة من مصر ، فيتقوّى بها ويصبح قادراً على خوض المعارك وتحقيق الانتصارات !

وكانت المعركة الاولى التي خاضها ضد الجيش السعودي الذي يقوده الأمير فيصل : معركة بسل .

تعدّ معركة (بسل) من أعظم المعارك في تاريخ الحروب المصرية في جزيرة العرب ، ويشبهها دريو بمعركة (اوسترليتز) ، التي انتصر فيها الامبراطور الفرنسي نابوليون ، وتعدّها فرنسا من أعظم أمجادها الحربية ، ويتساءل دريو : لماذا لا يحتفل المصريون بذكراها كل عام ؟

---

(١) انظر دريو .

وبسل قلعة بين الطائف وتربة ، وكان النجديون متجمعين عليها ، فسار اليهم محمد علي بجيشه ، وقاتلهم ، ثم نشر في اليوم السابع من صفر ١٢٣٠ هـ . بلاغاً على أهل مكة ، قال فيه ما خلاصته :

(خرجنا من مكة في ٢٦ محرم ، يوم السبت ، ووصلنا إلى « كلاخ » يوم الاربعاء ، وكان قصدنا الوصول إلى تربة ، لمحاربة الوهابيين الذين كان يقودهم فيصل ، ومعه طامي بعشرة آلاف من عسير ، وابن شكبان وابن دهمان وابن قطنان ونخروش ، وكل عرب بيشة والدواسر والبقوم وعرب الحجاز وصبيا والعارض ، بحيث يبلغ مجموع عسكرهم أربعين ألفاً .

وقد أغراهم الشيطان ودفعهم إلى مهاجمتنا ، فتركوا تربة وساروا إلى « بسل ».. فأرسلنا اليهم عدداً من فرساننا ومدافعنا ، فوجدوهم منتشرين على الجبال ، وقد قاوموا قواتنا مقاومة شديدة ، فتابعنا حملتنا عليهم ولم نترك لهم متسعاً للراحة ، وأغلقنا الدروب والمنافذ التي يستطيعون الهرب منها ، ثم وصلتنا نجدات جديدة ، فقمنا بحملة جديدة عليهم واتبعنا معهم خطة بارعة فاستدرجناهم إلى النزول من الجبال إلى السهل .. فانتصرنا عليهم ورويت سيوفنا من دمائهم ، وقد استولينا على خمسة آلاف من خيالتهم وعلى خمسة آلاف فرس وبعير ، وأسرنا عدداً منهم ، وغنمنا مؤناً ومعدّات كثيرة .

ثم تابعنا سيرنا إلى تربة ، التي كان فيصل لجأ اليها ، فوصلنا إلى ضواحيها يوم الثلاثاء ، فلما عرف فيصل بمسيرنا هرب من البلد بسرعة ، واستسلمت الينا الحامية التي كانت فيها ، فدخلناها بسلام) .

رواية ابن بشر :

(في أول هذه السنة — ١٢٣٠ — جرت الوقعة المشهورة بين فيصل بن سعود وبين الترك في « بسل » ، القصر المعروف قرب الطائف .

كان مع فيصل ١٠ آلاف مقاتل من نجد ، وعشرون ألف مقاتل من عسير وألمع وزهران وغامد وغيرهم .

اجتمع هؤلاء المقاتلة في « غزيل » ، بئر كبير .. قرب تربة ، ثم ساروا من هناك إلى الترك المجتمعين على بسل .

في اليوم الأول نازل المسلمون الترك وقتلوا منهم عدداً كبيراً ..

في اليوم الثاني جاء محمـــد علي بعساكر كثيرة مدداً .. ووقع قتال شديد ، فثبت فيصل ومن معه .. وانهزم رجال غامد وزهران ، ثم رجال طامي ، ثم عمّت الهزيمة واتصلت على جموع المسلمين لا يلوي أحد على أحد .

ولكن الله حمى المسلمين فاستطاعوا النجاة ، ولم يقتل منهم إلا نحو مائة .. وتفرقت الجموع ، وعاد فيصل وابن قطنان وابن شكبان .. إلى تربة) .

وصف الغربيين لمعركة بسل :

يقول جيوفاني فيناتي Jiovanni Finati إن محمد علي كان يمر بين صفوف جنوده ويقول :

(إن مستقبل مصر وشرفها مرهونان بهذا اليوم) .

وقد أوكل إلى فرقة من المغاربة أن تكون طليعة الهجوم .

ثم أخذ سجادة وبسطها على الأرض ووضع عليها نارجيلة ، وقال :

(لن أرجع عن هذا المكان أو أموت) .

ويقول دريو ان عدد المقاتلين في صف محمد علي كان أقل من مقاتلي فيصل ، ولكن آليات محمد علي كانت أكثر وأمضى ، وقد انتصر محمد علي بحيلة بارعة ، وذلك انه أنزل الوهابيين من الجبـــال والتلال إلى السهل ، حيث فتكت بهم أسلحته بسهولة .

وصف بركهارت :

ويقول بركارت ان آخر كلمات سعود إلى ابنه عبد الله كانت تحذيره من مقاتلة الترك في السهل ، وكان على الوهابيين أن يتذكروا هـذه الوصية ، ولو طبقوها لما انهزموا ..

كان بركهارت مقيماً في مكة أثناء معارك بسل ،وقد وصفها لنا وصفاً جميلاً ، فقال ما خلاصته :

(في ٢٦ محرم سنة ١٢٣٠ هـ . – ٧ يناير سنة ١٨١٥ م .) بدأ محمد علي زحفه إلى كلاخ فبلغه وهو في طريقه اليها ان الوهابيين متجمعون على بسل ،وان فرقة منهم هاجمت حلفاءه بدو عتيبة ، فأرسل بعض رجاله وعليهم الشريف راجح لمؤازرة عتيبة ، وسار هو وكبر جيشه إلى بسل ، لمقاتلة الوهابيين .

كانت قوة الوهابيين تقدر بخمسة وعشرين ألفاً ، معهم قليل من الخيل،ونحو خمسة آلاف بعير، وليس معهم مدافع ، وكان أكثرهم من أهل الجنوب ، وأمير الجميع فيصل بن سعود، ومعه ابن خرشان شيخ تربة ، وابن شكبان شيخ بيشة ، وبخروش رئيس زهران وغامد ، وابن دهمان رئيس شمران ، وغيرهم .

بدأ الفرسان الترك الهجوم ، وبقي الوهابيون معتصمين بالجبال ، فوقعت بين الفريقين مناوشات، وهرب جماعة من الترك إلى مكة ، فكان لهزيمتهم أسوأ الأثر في نفوس الأتراك في مكة ، لأنهم خافوا أن يذبح الوهابيون الجنود الترك عن بكرة أبيهم ، وقد رأيت تركياً يستأجر مكارياً بمبلغ كبير من المال ليوصله إلى جدة خوفاً من دخول الوهابية مكة وذبحهم من يجدونه فيها من الترك أو أسرهم ..

أما أنا فقد التجأت إلى الحرم المكي مع عبدي،لأن الوهابيين يعرفون للمساجد حرمتها ، ولكننا فوجئنا بعد ذلك بقليل بأنباء هزيمة الوهابيين ..

ذلك ان محمد علي وصلته نجدة جديدة من ألفي مقاتل ، واتبع خطة حربية ماكرة ، فهجم على الوهابيين ، ثم تظاهر بالهزيمة ، ليستنزلهم من الجبال التي كانوا ممتنعين فيها ولا سبيل إلى قهرهم وهم عليها .. وقد نجحت خطته ، فنزل الوهابيون من الجبال ليلحقوا، في زعمهم، المنهزمين .. ولكن محمد علي كان لهم بالمرصاد ، فكرّ عليهم وهزمهم هزيمة منكرة ، وقتل منهم وأسر أكثر من خمسة آلاف ..

ويقال ان الشريف راجح دخل بعد انتهاء المعركة خيمة كبيرة كانت لأحد كبار الوهابيين ، فقال له محمد علي : لمن الخيمة ؟ .

قال : لفيصل بن سعود .

قال : هي لك بكل ما فيها ..

وفرح الشريف بهذا العطاء ، ولكنه لم يجد في الخيمة أكثر من ألفي قرش ..

إن سبب هزيمة الوهابيين هو نزولهم من الجبال ودخولهم المعركة في السهل، حيث كان الترك بمدافعهم وأسلحتهم وفرسانهم أقدر منهم على الانتصار فيها .

ومع هذا ، قام أفراد من الوهابيين بأعمـــال تعد غاية في الشجاعة ، فابن شكبان ، مثلاً ، اخترق ببضع مئات من رجاله الجبهة المصرية ، ونجا ..

وبخروش قتل بيده اثنين من قادة محمد علي ، ثم عقر جواده ، ولكنه تسلل الى صفوف المصريين وأخذ جواداً من جيادهم وامتطاه وهرب به ..) [١] .

ملاحظتان لابن بسام :

ويقول الشيخ محمد البسام أن رؤساء الجيوش هم الذين أشاروا على فيصل بالخروج من تربة ومهاجمة محمد علي قبل أن يتكاثر عسكره ..

وهم أيضاً الذين أشاروا عليه بالنزول من أعالي الجبـال الى أسفل ، حتى يتقي مضرة المدافع ، فلما نزل ظن الجنود أنه انهزم ، فوقع الفشل .

رواية المقامات :

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن في مقاماته أن محمد علي،بعد رفض فيصل للصلح الذي عرضه عليه ، أخذته العزة والانفة (فسار الى بسل .. فاستعجل فيصل بمن معه فساروا اليه في بسـل ، وقد استعد لحربهم خوفاً مما جرى منهم ، فأقبلوا وهم في منازلهم فسارت عليهم العساكر والخيول فولوا مدبرين .

لكن الله أعز المسلمين فحبس عنهم تلك الدول والخيول ، حتى وقفوا على التلول ، فسلم أكثر المسلمين من شرهم ، واستشهد منهم القليل ، ولا بـــد في القتال ، أن ينال المسلم أو منه ينال ، وتلك الأيام نداولها بين الناس) .

---

(١) هرب بخروش وقع في معركة زهران ، التي جرت بعـــد معركة بسل ، كما روى ذلك المؤرخ الفرنسي غوان .

استسلام تربة

يقول بركهارت إن محمد علي سار إلى تربة بعد أربعة أيام من انتصاره في بسل، وكان على رأس جنوده ، وكانت معه مدفعية قوية ، واصطحب معه عدداً من النجارين والحدادين والمعماريين ومعهم كثير من العمال يحملون الفؤوس والألغام ، وذلك لقطع أشجار النخيل التي تحيط ببلدة تربة وهدم أسوارها ، لأنه كان يرى أن هذين الحاجزين – النخيل والأسوار – هما اللذان كانا السبب الحقيقي في إخفاق ولده طوسون وهزيمة جيوشه عند أبواب تربة .

ويقول (فيناتي) إن أخبار هزيمة النجديين الساحقة في بسل وصلت بسرعة إلى تربة ، فعمّ الرعب ، وهرب الرجال من البلدة ولم يبقَ فيها إلا النساء والمستضعفون من الرجال والأطفال وقليل من ملاّك الأراضي ..

أما غالية ، زعيمة تربة المجاهدة ، التي أرسلت إلى محمد علي كتاباً تتحدّاه فيه وتقول له: (إن لم يخرج جنودك من بلادنا فسآتي بنفسي اليهم وأطردهم من كل مكان يختبئون فيه ..) فقد خرجت مع بعض رجالها إلى الدرعية ، بعد أن تخلى عنها كل الناس .

ويقال إن محمد علي حاول أن يفاوضها ، فرفضت، وكان محمد علي يشتهي أن يمسك بها بأي اسلوب ويأخذها معه إلى مصر ، لتسير في موكبه ويعتز بانتصاره على هذه البطلة – الاسطورة .

ويزعم الشيخ محمد البسام أن فيصل بن سعود بعد هزيمته في بسل توجه إلى المرأة غالية ، وانها لما علمت (بنصرة الروم عليه ، أغلقت الأبواب دونه ، وأخذت ترميه بالبنادق والأطواب ، ففرّ إلى أخيه منهزماً) .

وهذا كلام غير صحيح ، ولو انها فعلت ذلك ما ذهبت إلى الدرعية ..

وينقل البسام رواية اخرى غير صحيحة عن غالية ، فيزعم أنها أخذت مواثيق من محمد علي باشا على نفسها وملكها وما تملك من آلة الحرب من خيل وركاب وأسلحة ، وأنها بقيت في تربة ..

ولكن البسام نفسه يعود فيكذب هذه الرواية ويقول (إنها لما انهزم فيصل وأيقنت بالقهر ، أخذت ما عزّ ، وتوجهت إلى الدرعية .. وملك محمد علي أرضها وديارها وأموالها) .

رواية ابن بشر :

ذكر ابن بشر في أخبار سنة ١٢٢٩ هـ. ان عبدالله بن سعود أمر أخاه فيصل بالمسير إلى تربة ويكون قائداً فيها لجموع المسلمين التي فيها من تهامة والحجاز وغيرهما ، مع من معه من أهل نجد ، وكان الأمير على الجيوش قبله غصاب العتيبي .

ويقول ابن بشر ، بعد ذلك ، إن فيصل ورؤساء جيوشه ، طامي وابن قطنان وابن شكبان ، وغيرهم ، توجهوا ، بعد هزيمتهم في بسل ، إلى تربة (وهم يظنون أن الناس يجتمعون فيها بعد الهزيمة ، فوجدوهم قد تفرّقوا ..

ثم إن محمد علي ، صاحب مصر ، والترك رحلوا من بسل ، وقصدوا تربة ، فخرج فيصل منها وتوجه إلى « رنية » ، وتفرّق الأمراء في نواحيهم ، ثم رحل فيصل من رنية إلى نجد .

ونزل الترك بلد تربة ، واستولوا عليها ، وأخرجوا مَن كان في ثغورها من المسلمين) .

أفراح مصر .. وهدايا الانكليز :

ويقول الجبرتي ، في أخبار ربيع الأول سنة ١٢٣٠ هـ. :

(وصلت البشرى .. بنصرة الباشا على العرب ، وأنـه استولى على تربة ، وغنم منها جمالاً وغنائم وأخذ منها أسرى ..

وفي أواخره ورد لحضرة الباشا هدية من بلاد الانـكليز وفيها طيور مختلفة ، وآلة مصنوعة لنقل الماء ، يقال لها (الطلنبة) ، وهي تنقل المـــاء من المسافة البعيدة ومن الأسفل الى العلو) .

لقد كان الانـكليز هم أيضاً يتظاهرون بالصداقة للفاتح الجديد !.

معارك عسير

سار محمد علي ، بعـــد استيلائه على تربة ، إلى عسير ، وذلك في صفر سنة ١٢٣٠ هـ . ، فاستولى على (بيشة) وعلى جميع قراها ، ثم سار إلى (شهران) و (زهران) فاستولى عليهما أيضاً .

كتاب محمد علي الى السلطان :

رأى محمد علي أن يستغل انتصاراته في تحقيق مطامعه في الشام ، فكتب إلى السلطان العثماني يبشره بالنصر ، ويطلب منه منحه ولاية الشام ليستعين بمواردها في متابعة الحرب وتحقيق مزيد من الإنتصارات .

وقد أشار محمد علي في سالته إلى ظفره في تربة ورنية وغيرهما ، وقال إن محاربة (العصاة) المعتصمين بالجبال بفرق نظامية تخالف قواعد الفن الحربي .. ولكنه استعان بالله وأقدم على حربهم فوفقه الله ، ثم أردف قائلاً :

(.. عند وصولنا إلى بيشة أعطينا العشائر المقيمة هناك ، وتقدّر بعشرة آلاف، الأمان ، ولكننا أدّبنا وقتلنا من يستحق العقاب منهم ، وأقمنا هنـــا عشرين يوماً حتى استقر السلام ، وقد نصّبنا على العشائر رؤساء من شيوخهم الكبار وألبسناهم الخلع ، وهدمنا القلعتين الحصينتين المبنيتين هناك وأبقينا في تلك المنطقة حاميـة تتألف من ألف مقاتـل ، نصفهم من الفرسان ونصفهم من المشاة .

ثم سرنا إلى قرى اليمن المعروفة باسم شهران ، فأعطينا شيخ تلك الجبهة

المعروف باسم (مشيط) الأمان ، وعاهدنا على الطاعة للسلطان وبذل المعونة لجيوشنا .

ثم تحركنا الى (زهران) ، وكان عليهـا أمير يدعى (بخروش) ، رجل (ملعون) – كذا – معه بضعة آلاف من أتباعه ، وكان معتصماً في القلعة ، فحاصرناه ، وإنا لنهمّ بدخول القلعة إذ خرج منها فجأة عدد من رجاله طالبين الأمان ، قائلين انهم نصحوا للأمير بترك المقاومة .. فدخلنا القلعـة وأخرجنا من فيها ..) .

كيف تمّ الاستيلاء على بيشة ؟

يقول ابن بشر إن محمد علي وعساكره (ساروا الى بيشة ونازلوا (اكلب) ، فأطاعوا لهم، ثم ساروا الى تبالة[1] فنازلوا شعلان أمير الفزع وشمران في قصره ثالث عشر صفر ورموه بالمدافع والقنابر فثلموه وقتل شعلان وغالب من كان معه ، نحو مائة رجل .

ثم ساروا الى بقية قرى بيشة ، وقد انهزم آل شكبان وتركوا قصورهم ، فسلم لهم بقايا اكلب والحلف بن مهدي وسلول وغيرهم ، ولم يبق لهم في بيشة منازع) .

ويقول المؤرخ الفرنسي ادوار غوان إن العرب يسمون بيشة : (مفتاح اليمن) ، وإن عرب بيشة جاؤوا الى محمد علي والتمسوا منه أن يعيد اليهم رؤساهم الذين كان سعود وأمراؤه قـد عزلوهم من مناصبهم التي كانوا يتوارثونها كابراً عن كابر ، ففعل : عزل الرؤساء الذين عينهم سعود وأعاد القدامى !

الاستيلاء على رنية وشهران :

يقول ابن بشر إن محمد علي بعث الشريف راجح (الى رنية بعساكر ، فهرب منها ابن قطنان ، فدمر ثغورها وبيوتها وأشعل فيها النيران .

---

(١) هي البلد التي هدم فيهـا المسلمون (ذا الخلصة) زمن عبد العزيز بن محمد بن سعود وهو الصنم الذي بعث اليه النبي (ص) . جرير البجلي فهدمه . فلمـا طال الزمن أعادوه فعبدوه .
– ابن بشر –

ثم إن محمد علي وعساكره ساروا في وادي شهران ، فكل من مرُّوا به في مسيرهم أطاع لهم ، مثل قبيل ورزحان ورعاياهم .

ثم مرُّوا ببلاد محمد بن واكد ، من شهران أيضاً ، فأطاعوا لهم .

ثم مرُّوا ببلاد مشيط ، صاحب الخميس ، ورعاياه من شهران ، فسلموا لهم .) .

الاستيلاء على زهران :

لا يتكلم ابن بشر عن مسير محمد علي إلى وادي زهران ، لمقاتلة بخروش والاستيلاء على بلاده ، والحقيقة هي أن محمد علي كان شديد الحرص على إخضاع بخروش ، لأن بخروش تحدَّاه وكتب اليه رسالة عنيفة اللهجة ختمها بقوله : خير لك أن تعود إلى مصر وتتنعم بالشرب من ماء النيل ..

أسر محمد علي بخروش وسجنه ، ويقول (غوان) إن بخروش استطاع ذات ليلة ، في غفلة من الحرس ، قطع سلاسله والهرب .. ثم استلَّ خنجره وقتل ضابطين مصريين وجرح ثالثاً ..وأخيراً أمسك به الجنود وأحضروه إلى محمد علي ، فقال له محمد علي : بأي حق قتلت اثنين من رجالي ؟

قال : لقد أفلتُ من قيودي وأصبحت حراً ، فأنا أفعل ما أريد !..

قال محمد علي : وأنا كذلك !

وأمر برأس بخروش فقطع ، وأُرسل إلى القاهرة فاستانبول .

سنة ١٢٣٠ :

المعركة مع طامي

رسالة محمد علي :

يقول محمد علي في رسالته إلى السلطان إنه سار بعد انتصاراته في زهران (إلى حصون الأمير ، المدعو « طامي » ، وكان مقيماً في القرية المعروفة باسم : « طبب » ، فلما حاصرنا قلعتيه وأردنا الهجوم عليها واقتحامها أسرع بالفرار ، ولجأ إلى الشريف حمود ، صاحب « أبو عريش » ، فدخلنا القلعتين واستولينا على ما فيها من مدافع وذخائر ومعدات حربية ، ثم هدمناهما ..

وبعد ذلك أرسلنا عدداً من رجالنا ، وعلى رأسهم الشريف راجح ورئيس

حجابنا ، ليتعقبوا طامي ، وأمرناهم أن يعودوا به حياً أو ميتاً .

أسر طامي جماعةٌ من عشيرته وأحضروه إلى الشريف حمود ، فسلمه هـذا إلى رجالنا ، فعادوا به الينا .

إن طامي – هـذا الملعون وابن الملعون (كذا ..) – رجل لا نظير له في الإجرام ، وقـد كان جمع حوله أكثر من خمسة وعشرين ألف مقاتل من القبائل انتشروا على السواحل ، يتعرضون للتجار الوافدين من الهند واليمن إلى جدة ويسلبونهم سفنهم وأموالهم ويلقون بجثثهم في البحر ... ولذلك انقطعت السفن عن تلك الجهات ، والآن .. أنقذ الله العباد منه .

لقد أُحكم وثاق هذا الملعون وسُلـِّم إلى رئيس حجابنا ، ليذهب به ويسلـّمه إلى مقر السلطنة السنية في استانبول .) .

رواية غوان :

ويقول غوان ، في كتابه (مصر في القرن التاسع عشر) ، إن جنود مصر ، بعد معـارك بسل وتربة وبيشة وزهران ، كانوا متعبين ، وكانت تنقصهم المؤن حتى اضطروا إلى ذبح عدد كبير من جمالهم لأكلها ، وشاركهم محمد علي ذلك ، مع كراهيتهم للحم الجمال .

وقد زاد محمد علي مخصصات جنـده ليتمكنوا من شراء القمح ، وأعطاهم الوقت الكافي للراحة ، ثم أمرهم بالمسير إلى بلاد طامي .

كانت المنطقة وعرة وصعبة ، لا تستطيـع الآليات المرور بها إلا بمشقة وعناء كبيرين، وأخيراً .. وصل المصريون إلى قلاع طامي ، فصبُّوا عليها قنابلهم حتى دكـُّوها دكاً ، ودخلوا بلدة طامي ، وأقـاموا الشيخ « ابن مدرى » أميراً على عسير ، بدلاً من طامي .

كان مع طامي عشرة آلاف من المقاتلين الأشداء ، وقد وقعت بينهم خسائر كبيرة ، وأما محمد علي فلم يخسر في هذه الحملة سوى ١٨٠ رجلاً) .

رواية النعمي :

يقول النعمي إن طامي بن شعيب كان (قد شكل خط دفاع في قمم الجبال

المسماة طلحة) ، واستطاع محمد علي تذليل الصعوبات عبر الحدود الشرقية لعسير حتى وافى طلحة .. ثم نشب القتال مع عشيرة الأمير طامي ، وكانوا بقيادة المدعو (حوان) العسيري ، وكان الظفر في ابتداء القتال للعسيريين ، ولكنهم هزموا أخيراً شر هزيمة ، واعتصموا في حصون (طبب) بقيادة الأمير محمد بن أحمد – ابن عم طامي – فتعقبهم محمد علي في حركة خاطفة حتى أحاط بالحصون من كل جانب ، وذلك في ١٤ ربيع الأول ١٢٣٠ هـ . ثم أخذ يقذف حصون طبب بنيران مدافعه بغية هدمها على المدافعين وقد ثبتوا في وجهه بقوة نادرة ، ولكنهم حينما أدركوا خطر الموقف استسلموا .. وصالحوا على سلامتهم ،وقدموا الطاعة .. وبعد أن نزلوا من الحصون أخذ محمد علي في تدميرها تدميراً كاملاً ..

أمـا الأمير طامي فقد نجا بنفسه من المعركة ، وراح يحشد حشوداً من بني مغيد ومن جاورهم لصدّ محمد علي عن عاصمته ،ولكن قصوره في العاصمة سقطت ، قبيل وصوله للدفاع عنها ، في يد الجيش الزاحف ،فتحرج موقفه بسبب سقوطها ووقوع أغلب رجاله في يد عدوه ،فاعتصم في شرذمة من بني قومه برأس جبل (تهلل) المشهور ، ليتخذ منه نقطة انطلاق عندما تحين له الفرصة ، بيد أن خصمه جرد عليه حملة لمطاردته بأعلى قمم ذلك الجبل الشامخ .. وعندما أيقن بالهزيمة ، خفّ منحدراً إلى المخلاف السليماني بتهامة ليعتصم بحصنه الواقع في (مسليه) من أعمال وادي بيش – وكان له بمسليه مزارع وعبيد وإماء ،وكانت مدينة صبيا ومخلاف بيش تابعة لإمارته ، وله بقلعة صبيا حامية عسكرية – ولكن خصمه الشديد الشكيمة لم يترك له البقاء وحيداً بحصن مسليه بل أرسل وراءه رعيلاً من الخيل لمطاردته وأسره أينما كان) .

التجاء طامي الى حمود ..

ويتابع النعمي كلامه فيقول ما خلاصته أن الأمير طامي خاف على نفسه أن يقع أسيراً في يد عدوه فأراد الالتجاء إلى حمود.. ولكن وزير الأمير حمود كان قد استولى على صبيا حين بلغه فرار طامي ، ويشاء الله أن يلقى هـذا الوزير في طريقه الأمير طامي فيأخذه أسيراً إلى (صبيا) ، ومـا هي إلا لحظات حتى

وصلت (خيل محمد علي التي كانت تتعقب أثره ، فاستلمته واقتادته أسيراً إلى محمد علي ، ليرسله إلى مصر ، ثم إلى تركيا ليقتل هناك) [1] .

ويقول ابن بشر إن الأمير طامي لما وصل إلى مسليه أرسل اليه حسن بن خالد وزير حمود يستقدمه إلى صبيا (فلما قدمها أمسكه وبعثوا به إلى محمد علي فسيره إلى مصر وصلب فيها) ..

ورواية ابن بشر هذه غير صحيحة ، لأن طامي هو الذي كان متوجهاً من تلقاء نفسه إلى صبيا ، وطامي قتل في استانبول ولم يصلب في مصر .

ثورة عسير :

ترك محمد علي في (طبب) حامية عسكرية مزودة بالمدافع الثقيلة ، « واستمر الحال في خضم من الفوضى ، إذ لا همّ للحكام الأتراك سوى اقتناص أموال الناس وإثارة الفتن والإضطرابات فضاق العسيريون ذرعاً من ذلك .. ففي رمضان من العام نفسه ثار محمد بن أحمد على حامية محمد علي واستطاع أن يقضي عليها قضاء مبرماً – بعد أن حكمت عسير خمسة أشهر وبضعة أيام – وتولى الحكم في عسير » !

عودة محمد علي الى مصر :

في رجب ١٢٣٠ هـ. (١٨١٥ م.) أرسل السلطان العثماني كتاباً الى محمد علي يثني فيه على جهوده ويحييه تحية حارة (بسبب الأخبار التي أوصلها اليه عن حملته ضد الوهابية ، ومنها أنه عاقب ، بعد دخوله بيشة ، عشرة آلاف عربي من الثائرين ، وهدم اثنتين من قلاعهم وأبقى حامية من ألف رجل في بيشة ، ثم سار إلى زهران وهاجم أميرها بخروش وأخرجه من حصنه وسجنه ، ثم هاجم طامي أمير قبائل عسير وهدم حصنه واستولى على ما فيه من المدافع والمعدات ، وأخذ طامي وسجنه ، وقد أرسل محمد علي رأس بخروش مقطوعاً إلى السلطان وسيرسل طامي حياً إلى استانبول ليعدم فيها .

---

(١) ويقول النعمي ان محمد علي رحل ، وبرفقته الأمير طامي مكبلاً في الحديد ، إلى مصر ، « حيث كانت الجنود تجوب به في الشوارع ، وهو راكب على جمل ، يقصد التشهير به ، ثم أرسل إلى تركيا وطيف به في الشوارع ، ثم قتل .. وكانت مدة حكمه ست سنوات تقريباً .

وإلى هـــذا : أخذ السلطان علماً برغبة محمد علي في العودة إلى مصر لإعداد حملة قوية ضد الدرعية .

وكذلك علم برغبته في عودة ابنه طوسون أحمد باشا – متصرف جدة وشيخ حرم مكة – إلى مصر ، (لتبديل الهواء) ..

وتقديراً لأعمال محمد علي الباهرة أرسل اليه السلطان ، مع مندوب خاص ، سيفاً مرصعاً بالأحجار الكريمة ، وفرو سمور ... الخ . ومثل ذلك لطوسون ، وهدايا متفرقة لقواد الجيش) .

فتنة في مصر .. وحركة نابوليون :

ما ندري إن كان محمد علي تلقى كتاب السلطان في مكة قبل سفره إلى مصر أم بعد ذلك ، ويدلنا كتاب السلطان على أن محمد علي كان مزمعاً العودة إلى مصر هو وولده قبل الحوادث التي حدثت في مصر وقال المؤرخون انها هي التي أوجبت عليه الرجوع إلى بلاده لقمع الفتن ..

وأكبر الظن أن هذه الحوادث – أو الشائعات – هي التي عجلت في عودته ، ففي أواخر شهر جمادى الثانية من عام ١٢٣٠ هـ. بلغ محمد علي أن القـادة الذين سرحهم يأتمرون به في مصر ليخلعوه ، كما بلغه أن نابليون خرج من جزيرة (ألبا) ، وقد يفكر في الاستيلاء على مصر ، وهكذا قرر محمد علي السفر إلى مصر فوراً ..

ويقول بركهارت إن محمد علي ، قبل سفره ، أمر ابنه طوسون أن يمتنع عن القيام بأية حركة حربية ضد نجد ، وأن يبقى في الحناكية .

وقد أخذ محمد علي موارد الجمارك في جدة ، التي كان يتصرف بها طوسون ، ولم يعطه من المال إلا شيئاً قليلاً ، لأنه كان يعرف شدة كرم طوسون وإسرافه .

ويقول بركهارت أيضاً إن محمد علي عقد ، قبل سفره ، مجلساً من علمـــاء مكة ، وقرأ عليهم كتاباً كان أرسله الى عبدالله بن سعود ، يطلب منه الاستسلام حقناً للدماء ، ويفرض عليه شروطاً ، منها إعـــادة ما أخذه والده سعود من النفائس والتحف التي كانت مودعة في الروضة النبوية بالمدينة المنورة .

وقد صل محمد علي الى مصر في رجب ١٢٣٠ هـ. – ١٩ يونيو ١٨١٥ م.

معارك طوسون في نجد والهدنة ..

يقول الرافعي إن المصريين عانوا من هجمات السعوديين بلاء كثيراً وشراً مستطيراً،(وزاد في حرجهم انتشار الأوبئة ورداءة الطقس وقلة المؤونة والماء)، وكل ذلك جعل طوسون يلتزم خطة الدفاع في مكة والمدينة وجدة وينبع، بعد أن بلغ عدد قتلاه، في احدى الروايات، (٨٠٠٠) قتيل !

ويبدو أن انتصارات محمد علي حرّكت في نفس طوسون الشهوة إلى القتال برغم كل المصائب التي حلّت بجيشه، وأما وصية أبيه له، قبل عودته الى مصر، أن يبقى في الحناكية – التي استعادها بعد طرد الإمام سعود للحامية المصرية منها – ولا يتجاوزها الى شيء من أراضي نجد، فقد كان لها في نفسه أثر معكوس، لأنه رأى فيها نوعاً من التشكيك في مقدرته الحربية والسياسية، فأحب أن يثبت لأبيه أنه قادر على تحقيق الفتوحات العظيمة حرباً وسياسة، ولذلك أمر جنوده بالمسير إلى بلدتي الخبرا والرس من بلدان القصيم، وأكبر الظن أنه ما كان ليقدم على هذه المغامرة لولا مكاتبات سابقة دارت بينه وبين زعماء البلدين، وعهود قطعها لهم وأموال دفعها اليهم حتى وافقوا على تسليم البلدين اليه سلماً من غير حرب !

في الرس والخبرا :

يقول دريو إن طوسون دخل الرس ليلاً وفجأة، واستولى فيها على ٢٠ ألف بعير، ومائتي ألف رأس غنم .

ويقول ابن بشر إن عساكر طوسون دخلوا الخبرا والرس (واستولوا على ما فوقها من القصيرات والمزارع مثل ضرية ومسكة والبصيرى ونجخ ، المعروفات في تلك الناحية .

وثبتت بقية بلدان القصيم ، وحاربوا الترك .) .

مناوشات ومعارك :

لما علم عبدالله بن سعود باستيلاء العساكر المصرية على الرس خرج بجموعه من الدرعية في شهر جمادى الاولى سنة ١٢٣٠ ونزل (الرويضة) ، قرب الرس ، (فقطع منها نخيلاً ودمّرهـا وأهلك غالب زروعها) فرماه الترك بمدافعهم من بعيد ، ثم سار نحو قرية (الداث) القريبة من الرس ليفاجىء فيها طوسون ، الذي قيل انه وصل من المدينة المنورة ونزلها مع عدد من رجاله، ولكنه لم يجده هناك لأنه كان قـد ارتحل إلى الرس ودخلها ، فأغار عبد الله على (البصيرى) وأخذ منها أغناماً ، ثم أغار على جماعة من الترك كانوا نازلين قرب البصيرى ، فلجأوا إلى قصر البعجا ، فهاجمهم وقتلهم (وكانوا نحو ١١٠ رجال ، كلهم من رؤساء الترك وآغاواتهم) [١] .

وذكر (رهاستيك) ان رجال عبد الله بن سعود قتلوا في إحدى غاراتهم ، ابراهيم آغا (طوماس كيث) – رئيس مماليك طوسون وخازنه الذي كان عيّنه حاكماً على المدينة المنورة ! – مع جميع الفرسان الذين كانوا معه ! ونرجح أن طوماس كيث لقي حتفه في قصر البعجا . والله أعلم .

ويقول ابن بشر إن طوسون نزل الخبرا ، وأرسل عساكره إلى الشبيبية ، ثم أراد المسير إلى عنيزة، فسبقه الإمام عبد الله اليها ونزلها ، وكان (يبعث السرايا على الترك والبوادي الذين في الشبيبية ويشنّ عليهم الغارات .)

ثم رحل عبد الله من عنيزة ونزل (الحجناوى) ، الماء المعروف بين الرس وعنيزة، وأقام هناك قريب شهرين، وكانت تقع بينه وبين الترك مناوشات من بعيد.

---

(١) ابن بشر .

الصلح بين عبد الله وطوسون :

يقول طوسون في رسالة إلى والده محمد علي إنه كان يهمّ بالتحرك إلى عنيزة وبريدة ، بعد استيلائه على الرس والخبرا والبكيرية والشبيبية ، حين أخبروه بأن عبد الله خرج من الدرعية مع عدد كبير من الهجانة والخيّالة لإمداد عنيزة وبريدة وتعزيز أسوارهما ، وأنه عمد كذلك إلى مهاجمة البدو الموالين للمصريين .

ويردف طوسون إلى ذلك قائلا : ولكن عبد الله بن سعود ، فيما يظهر ، ندم على ما كان منه . . فنزل في مزرعة صغيرة تبعد ثلاث ساعات عن مخيماتنا وأرسل الينا رسالة مع مندوبين يقول فيها إنه قرر ، بعد وفاة والده ، الإكتفاء بحكم الدرعية وترك ما سواها إلى الدولة العلية ، وأنه سيدعو للسلطان ! . .

لقد قيل لنا – فيما كنا ننتظر حضور (عبد الله) الينا – إنه لا يلبث أن يعود إلى فساده القديم ، ولكننا نرى إظهار رغبتنا في قبول عرضه ، وأن نحتفظ لدينا بالرجلين اللذين أرسلهما ليكونا رهينتين لمدة سنة ، يبدلان في نهايتها بغيرهما ، وهما : عبد العزيز بن حمد ، وعبد الله بن بنيان) .

رواية ابن بشر :

تشير رسالة طوسون في وضوح الى أن عبد الله هو الذي طلب الصلح .

أمـــا ابن بشر فيقول ان الله أوقع الرعب في قلوب الترك فجنحوا للسلم ، (وذلك انه أقبل ثلاث ركايب ، عليها ثلاثة رجال ، بالأمر لطوسون بالمصالحة فوقعوا في قوم عبد الله ، يحسبونهم عسكر الترك ، فأخذهم رجال وأتوا بهم عبد الله ، فضرب عنق الرجلين (العربيين) وأظهر التركي كتباً معه وأنه أتى للمصالحة ، فأكرمه عبد الله ، وأرسله الى أصحابه . .

. . فوقع الصلح بينهم ، وانعقد بين طوسون وعبد الله على وضع الحرب بين الفئتين ،

وأن الترك يرفعون أيديهم عن نجد وأعمالها ،

وأن السابلة تمشي آمنـــة بين الفريقين ، من بلد الترك والشام ومصر وجميع ممالكهم الى نجد والشرق وجميع ممالك عبد الله وكل منها يحج آمناً .

وكتبوا بذلك سجلاً .

ورحل الترك من الرس أول شعبان ، متوجهين الى المدينة .

وبعث عبد الله معهم القاضي عبد العزيز بن حمد بن إبراهيم وعبد الله بن محمد ابن بنيان صاحب الدرعية ، ومعهما كتاب الصلح، ليعرضاه على محمد علي ،فوصلا مصر ، ورجعا منه ، وانتظم الصلح) .

رواية بركهارت :

يقول بركهارت إن طوسون استشعره عجزه عن الانتصار على الوهابيين فقرر مفاوضتهم ومهادنتهم وكلّف بعض البدو (يجس نبض) عبدالله بن سعود.. وقد رأى عبد الله ، مع قدرته يومئذ على قهر العساكر الغازية ، أن الصلح خير من الحرب ، لأن انتصار عبد الله على طوسون في موقعة لا ينهي القضية ، فهناك محمد علي، وهناك مصر التي تجهز جيوشاً جديدة لاستئناف القتال وتمدّ طوسون أو غيره من قوادها بكل ما يطلبون من جند وسلاح وذخيرة ومؤن ومال ..

كلّف طوسون طبيبه الخاص،وهو من أصل سوري واسمه (يحيى أفندي)، أن يذهب الى عبد الله بن سعود ويحمل اليه بعض الهدايا ويباحثه في الأمر ، ففعل وأقام في قصر عبد الله بن سعود ثلاثة أيام معززاً مكرماً ، وبعد عودته جاء مندوب عن عبد الله بن سعود يحمل معاهدة الصلح للتوقيع عليها ، وهي تنص على ما يأتي :

١ - يتخلى عبد الله بن سعود عن الحرمين وما يتبعهما .

٢ - يجلو طوسون عن بلدان القصيم التي احتلها ويفرج عن الشيوخ الذين يحتجزهم ، وتتبع العشائر التي تقع مراعيها وراء الحناكية لسلطة عبد الله .

٣ - يعلن عبد الله أنه من رعايا السلطان ويخلص له الطاعة .

رواية مانجان :

ويقول (مانجان) إن المعارك هدأت قليلاً ، بعد استيلاء طوسون على

بعض مدن القصيم ، فأرسل عبد الله بن سعود الى طوسون الشيخ أحمد الحنبلي ، ليعلن باسمه ونيابة عنه أنه يخضع للسلطان ويعدّ نفسه من رعاياه ..

فأجابه طوسون أنه لا يملك عقد الصلح ، لأن ذلك من حق والده ، ولكنه يستطيع مهادنته حتى يستشير والده ، ويلزمه لإتمام ذلك عشرون يوماً ..

وسأل طوسون قواده عن رأيهم في الهدنة ، فقالوا إنهم ما أتوا إلى هذا المكان البعيد ليهادنوا ، وإنما أتوا ليحاربوا .

ثم حاول بعض الجنود ، قبل انتهاء أجل الهدنة ، أن يسيروا لمقاتلة النجديين ، فلم يطيقوا المشي على الرمال ، وعادوا .. وعندئذ تراجع الرؤساء وقالوا : ما دام عبد الله بن سعود يريد الصلح والأمان ، فليكن له ما يريد ، بشرطين :

الأول : يبقى منا جنود في الرس والخبرا ، ويقدم اليهم النجديون المؤن بأسعار يتفق عليها .

الثاني : يقدم الينا النجديون رهائن ، ريثما يقبل محمد علي الاتفاق أو يرفضه.

عم عبد الله في معسكر طوسون :

ويمضي مانجان في سرد مراحل الصلح ، فيقول إن عبد الله أرسل عمه (عبد الله بن عبد العزيز) يرافقه أربعة من أقربائه الأمراء ، الى معسكر طوسون للاتفاق على الصلح ، وقد حمل هؤلاء المندوبون معهم هدايا ثمينة من النوق والجياد الأصيلة قدموها الى طوسون والى الخزندار أحمد آغا .

دعا طوسون عبد الله بن عبد العزيز الى الجلوس قريباً منه فجلس ، ثم قرأ رسالة كتبها الإمام عبد الله بن سعود ، وفيها يقول إنه يوافق على كل ما يقبل به عمه ويراه ..

فسأل طوسون عبد الله عما يريده .. فقال :

أريد أن تقبلونا بين رعايا السلطان الأمناء ، ومنذ اليوم نحن خاضعون لأوامركم ، وسندعو للسلطان كل يوم جمعة في مساجدنا ، ولن نحاول التمرد !

فقال طوسون ، مخاطباً عبد الله ورفقاءه :

— يجب أن تعودوا عن معتقداتكم إلى الديانة الصحيحة .

فقال عبد الله : نحن مؤمنون حقاً ، ومعتقداتنا هي نفس معتقداتكم .

فقال طوسون : « ما دام الأمر كذلك ، فيجب أن تطيعوا لخليفة المسلمين .

وليذهب عبد الله بن سعود إلى عاصمة الخلافة (استانبول) ، متى طلب منه ذلك .

وليعد ما أخذه والده من ضريح النبي ..

وليكتفِ بأن يكون شيخاً للدرعية ..

وليتعهد بتأمين سلامة طريق الحج من جهته !. »

وخلا طوسون ، بعد ذلك ، برؤساء جيشه ، وسألهم رأيهم في مشروع الصلح بينه وبين عبد الله بن سعود ، فأجابوه ، بعد تفكير : متى طلب الثائر الصلح فيجب قبول طلبه ، ولكنه إذا عاد إلى العصيان مرة اخرى وجب قتله.

واستدعى طوسون ، بعد خروج الرؤساء ، عبد الله بن عبد العزيز ورفقاءه، وقال لهم : عرفتم شروطنا للصلح فقولوا لعبد الله أن يرسل مندوبين عنه إلى مصر وإلى استانبول ، وليعلن في بلاده فوراً نبأ الصلح ، وليخبر كل (وهابي) أن عليه أن يقدم إلى الجيش المصري ما يحتاج اليه بالثمن العادل ..

وأرسل طوسون مع هؤلاء المندوبين سيفاً وجياداً وأثواباً ونحوها، هدية إلى عبد الله بن سعود .. كما أرسل معهم أحد رجاله ، وكان هو الذي يحمل السيف المُهدى ..

لما وصل عم الإمام ورفاقه ، ومندوب طوسون ، إلى معسكر عبد الله بن سعود ، استقبلوا استقبالاً فخماً ، وقرأ عبد الله بن عبد العزيز شروط الصلح ، فصفق لها المجتمعون ، وقالوا :

– نعم ، نخضع – للخليفة السلطان – ودعوا له بالعز والنصر ..

ثم سلم مبعوث طوسون الى عبد الله بن سعود السيف ، وخاطبه قائلاً :

– هذا السيف هو عربون طاعتك ، وسيكون سنداً لك ما أقمت على العهد. أما إذا عصيت أوامر سيدنا السلطان ، فسيكون وسيلة للانتقام منك .

فارتفعت الأصوات بالولاء للسلطان ، وأعلن الحاضرون انهم سيقدمون الى الجيش طعاماً وإلى الخيول والجمال علفاً .

وقال عبد الله بن سعود إنه يعتبر نفسه منذ الآن من رعايا السلطان ، ولذلك فهو قد تبرّع بمبلغ من المال لمعاونة جيش طوسون ..

التحريض على قتال طوسون :

ويقول مانجان إن رسالة وصلت الى عبد الله بن سعود ، بعـد قبوله الصلح المشروط، صادرة عن رأس الخيمة، وقد جاء فيها ان الانكليز حاولوا الاستيلاء على البلد ، ولكن أميرها وجنوده قاتلوهم واضطروهم الى الانسحاب منهزمين واستولوا على أموالهم وأرسلوا الخمس الى الدرعية .

وجاء في الرسالة أيضاً انهم سيرسلون اليه أربعة آلاف مقاتل ، كما يصله ألفا مقاتل من اليمن ، ليمضي في قتال الترك والمصريين حتى النصر ..

وقد أجاب عبد الله على هـــذه الرسالة بأنه صالح المصريين وعاهدهم ولن ينكث بعهده .

وقـد تلقى طوسون ، بعد ذلك ، تقارير من رجاله بأن عبد الله بن سعود انتقم من البدو والحضر الذين كانوا يتعاملون مع المصريين ويساعدونهم وأنه بدأ بتحصين الدرعية استعداداً للحرب ، فكتب اليه رسالة يقول فيها : إن هـذا السلوك لا يتفق مع المعاهدة ، وأنه – أي طوسون – قادر على جعله يندم على ما وقع منه .. وبذلك يخرب عبد الله بلاده ويهلك نفسه وأسرته وجماعته .

فكتب عبد الله الى طوسون أن ما بلغه غير صحيح ، وأنه ما زال وسيبقى وفياً لعهده ، وأرفق رسالته بهدايا ثمينة .

رسالة عبد الله بن سعود الى طوسون :

نشر بركهارت ترجمة رسالة قال إن عبد الله بن سعود أرسلها الى طوسون ، وكنا راغبين كثيراً في الظفر بالأصل العربي لهذه الرسالة فلم نوفق الى ذلك ، وها نحن نترجم .. الترجمة الإنكليزية الى العربية :

رسالة عبد الله بن سعود الى طوسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على خير الأنام محمد ﷺ ،

ثم أزكى السلام الى الأمير النبيل أحمد طوسون باشا ، وفقه الله تعالى الى صالح الأعمال ،

وأما بعد .. فقد وصلتنا رسالتكم، وسرنا أنكم في موفور الصحة والعافية.

أما ما ذكرتموه من المطالب فليس يخفى على فطنتكم ومعرفتكم المشهورتين أن تلك المطالب مخالفة للصلح ، ولو أننا لم نكن حريصين على صداقتكم وعلى القيام بعهودنا لأسرعنا الى تلبية طلباتكم رياءً .. ولكننا نلتزم بما التزمنا به بصدق وإخلاص .

أما سفركم فلا يمنعكم منه ما يقوله أعداؤنا وحسادنا ، ولا تعيروا أقوالهم سمعكم ، واسألوا من شئتم من العرب الذين عندكم عن وفائنا بعهودنا ، وسيقولون لكم ، ان صدقوكم ، اننا متى أعطينا رجالاً الأمان فقد أمنوا ، ولو سبق منهم قتل أحد أبناء سعود،فنحن لا نحنث بأيماننا ولا ننكث بعهودنا مهما يكلفنا ذلك.

دعونا نصارحكم القول ، لا تشكوا في نياتنا وثقوا بسلامة مقاصدنا ، فوالله لا أمسكم لا أنتم ولا عساكركم بأدنى سوء ، فأنتم في أمان الله ، ثم في أماني .

وما دمتم تتأهبون الآن للعودة،فأنا أيضاً أستعد للرحيل الى عنيزة ، وأفعل ذلك (كرامة لخاطركم وللذي وراءكم)– يعني محمد علي –[1].

ونحن نريد منكم أن ترسلوا الينا كتاباً تتعهدون فيه لنا بأمان الله ثم بأمان السلطان وأمانكم لكل العرب الذين في جهتنا ، حضراً وبدواً ، وكتاباً آخر بالأمان لأهالي شنانة والنبهانية ..

---

(١) هذه الجملة الأخيرة « كرامة لخاطركم » الخ أثبتها بركهارت بأصلها العربي .

سنتلقى جوابكم إن شاء الله هذه الليلة ، ولن تؤخروا رسولنا عندكم .

ومتى تم الإتفاق فليس شيء يطمئن قلوب المسلمين مثل الرهائن ، وسيخبركم إبراهيم بأسماء هؤلاء الرهائن ، وهم : محمد دالي باشا، عثمان الصلحدار، اسماعيل الجوخدار ، أحمد آغا ، وأمان الله ثم أماني عليهم .

وإذا أردتم أن ترحلوا قبلنا فسنرسل اليكم من قبلنا رهائن يتبعونكم ،والآن الخيار لكم ، إما أن ترسلوا الينا رجالاً منكم ونحن نرحل ، وإما أن تبدأوا أنتم الرحيل ونحن نرسل اليكم رهائن منـــا . وثقوا أن الرهائن سيكونون موضع عناية خاصة .

نسأل الله أن يحقق لنـا الخير الذي نؤمله ، وسلام الله وصلاته على محمـد وآله وصحبه .

(عبد الله بن سعود)

رواية الشيخ عبد الرحمن :

يذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، في مقاماته ، ان محمد علي كان أمر (العطاس أن يسعى بالصلح بينهم وبين عبد الله بن سعود ويركب له من مكة ..) وان أولاد سعود صار فيهم (نوع من العجلة في الامور) فنشبت بينهم وبين الترك مقاتلات ومناوشات .. (فقدم العطاس على الأمر الذي عمده عليه محمد علي فوجد الحال قد تغير ، قصدهم ابتداء فمنعوه مما جاء له ، ثم انهم سعوا في الصلح ، والمسلمون على الحجناوي وكل يوم يجري بين الخيل طراد فمل بعض المسلمين من الإقامة فلم يبق منهم إلا شرذمة قليلة ، فجاء منهم أناس يطلبون الصلح ، فأصلحهم عبد الله ، وطلبوا منه أن يبعث معهم رجلاً من أهل بيته خوفاً أن يعرض لهم أحد من المسلمين في طريقهم ،فمشى معهم محمد بن حسن شاري الى المدينة ..

فلو ساعد القدر وتمّ هذا الصلح لكان الحال غير الحال ..) .

والحق ان رواية الشيخ عبد الرحمن لا تلقي نوراً كافياً على قضية الصلح ، ولكنها تشير الى قصة بدأت خلال وجود محمد علي في مكة وطوسون في المدينة ..

ومع هـــذا لم نعرف أسماء الذين طلبوا الصلح ، وهل تخلى العطاس نهائياً عن وساطته ؟ وما هي شروط الصلح ؟.

رواية أحمد فريد :

ويقول أحمد فريد ، في كتابه (تاريخ الدولة العلية العثمانية) ، الذي تقادم عليه العهد ، ان عبد الله بن سعود أرسل الى طوسون رسولاً يطلب منه الكف عن القتـــال ويعرض رغبته في الصلح ، فأجابه طوسون باشا : (انه لا يمكنه إجابة ملتمسه إلا بعد أخـذ رأي والده ، واتفقا على المهادنة عشرين يوماً ريثما يخابر طوسون والده .

وبعد ذلك بقليل أتى اليه خبر عودة والده الى مصر ، فأخذ (طوسون) على نفسه إتمام الصلح وإخبار والده بعد إتمامه ، فاتفق مع عبد الله على :

– أن يحتل طوسون باشا بجيوشه مدينة الدرعية .

– وأن يردّ النجديون ما أخذوه من المجوهرات والنفـــائس من الحجرة الشريفة النبوية ،خصوصاً «الكوكب الدرّي» ، الذي زنته مائة وثلاثة وأربعون قيراطاً من الالماس .

وكتب الى والده بذلك ، فأتى اليه الرد بتكليف عبد الله بن سعود التوجه الى الآستانة ، وإن لم يقبل يرسل اليه جيشاً جديداً لمحاربته .)

رواية غوان :

ويقول (غوان) إن عبد الله وطوسون كانا جميعاً راغبين في الصلح :

– طوسون ، لأنه تلقى نبأ الفتنة التي قامت في مصر ، وانقطعت عنه بسببها الإمدادات ..

– وعبد الله ، لأنه كان يخشى انتقاض بعض أنصاره عليه ، ولأنه يعلم فوق ذلك أن انتصاره على طوسون في معركة لا يعني النصر الحاسم ..

ولذلك انعقد الصلح بينهما على الشروط الآتية :

١ – يخضع عبد الله للسلطان ويذهب الى استانبول متى طلب منه ذلك ..

٢ – يعيد كل ما أخذه من ضريح النبي ، ويتخلى عن رسوم الحج ..
٣ – يرضى بأن يكون رئيساً للدرعية ، تابعاً لحاكم المدينة ..

ولكن عبد الله الذي قبل هذه الشروط لم يحقق شيئاً منها ، بعد عودته الى الرياض ، وكان يتصرف تصرف المالك المطلق ، كما كان يفعل من قبل ..

شروط الصلح :

يبدو لنا ، رغم تناقض الروايات وفقدان الوثائق الحاسمة ، ان شروط الصلح بين عبد الله وطوسون كانت مختصرة وقاصرة على ما ذكره ابن بشر وبركهارت من اقتسام البلاد بينهما (بحيث تكون الحناكية آخر حدود نجد الباقية لعبد الله بن سعود) وربما كان في الصلح أيضاً اعتراف عبد الله بالسلطان العثماني ، وأما الشروط الاخرى التي ذكرها بعض المؤلفين فأرجح الظن أنها مأخوذة من الشروط الجديدة التي فرضها محمد علي فيما بعد تعنتاً ، أو من شروط ابنه ابراهيم باشا ...

عودة طوسون الى مصر :

انعقد الصلح بين عبد الله وطوسون في شهر شعبان سنة ١٢٣٠ هـ . وغادر طوسون القصيم الى المدينة ، والظاهر ان عبد الله رحل قبله ، وقد اصطحب طوسون معه الرهائن الذين قدمهم اليه عبد الله ، ويقول مانجان ان طوسون قضى شهر رمضان في المدينة ، وكان يحصل على المؤن بمشقة كبيرة ، ولما قرر العودة الى القاهرة ، لما بلغه من الأخبار السيئة ، خاف أن يفسر الأهالي سفره تفاسير مريبة ، فطلب من قائده في ينبع أن يرسل اليه برقية بأنه تلقى من القاهرة أنباء عن انتصار محمد علي ، ففعل ، وعند وصول البرقية أطلقت في المدينة المدافع ابتهاجاً بتلك البشائر المزعومة !..

وبعد قليل عاد طوسون الى مصر ، ورأى لأول مرة ولده اسماعيل ، الذي ولد أثناء غيابه في الجزيرة العربية ، وكان عمره سنتين .. وقد وصل طوسون مصر في شهر ذي الحجة .

وفاة طوسون :

تولى أحمد طوسون باشا ، بعيد عودته الى مصر ، قيادة فرقة ترابط في رشيد ،

ويقول الرافعي ان طوسون (اتخذ معسكره في « برنبال » ، الواقعة بالبر الشرقي للنيل تجاه رشيد ، والتمس بها الراحة من عناء المعارك التي خاضها في الحجاز ، فاتخذ الموسيقيين والراقصات والمغنيات ومجالس اللهو ، وبقي بها الى أن عاجلته منيته ليلة ٢٩ سبتمبر ١٨١٦ م. اثر مرض ثار به فجأة ، قيل انه نشأ من تهالكه على الملذات ، ولم يمهله أكثر من عشر ساعات ، ثم فاضت روحه ، فنقلت جثته بطريق النيل الى القاهرة ، ودفن في مقابر الإمام الشافعي .

توفي طوسون وهو في مقتبل الشباب ، إذ لم يتجاوز العشرين من عمره .. فجزع أبوه على فقده جزعاً شديداً ، وحزن الناس لوفاته ، لما كان عليه من الشجاعة والجود والميل الى الشعب) .

ويقول دريو ان طوسون مات من تصرفات كرجية حسناء أحبها حباً عنيفاً.

هل نقض الصلح ؟

الصلح الذي عقد بين عبد الله وطوسون ، على اختلاف المؤرخين في تحديد شروطه لم يكن صلحاً نهائياً ، وإنما كان نفاذه مرهوناً بموافقة محمد علي ، والي مصر ، على بنوده ، ولذلك أرسل عبد الله بن سعود مندوبين عنه إلى مصر لمقابلة محمد علي ومطالبته بتوقيع الصلح .

ونرجح كثيراً ان محمد علي لم يكن راضياً عن هذا الصلح ، لا بسبب مخالفات وقعت من عبد الله ، ولكن محمد علي ، بعد قضائه على الفتنة الجديدة في مصر ، وحصوله على موارد كبيرة ، أراد أن يحقق نصراً باهراً في ساحة الحرب يعلي سمعته أمام السلطان وأمام العالم ، لا أن يقال عنه إنه لم يستطع التغلب على عبد الله فصالحه .. ولذلك تشدد في مطالبه والتمس الأسباب لرفض الصلح الذي عقده ابنه طوسون.

ويذكر دليل الخليج الفارسي رأياً يقول ان محمد علي رفض الصلح لأن ابنه طوسون خالف بعقده وصية أبيه ، ولكن الدليل يعود فيرجح ، مثلنا ، أن الصلح لم يكن مرضياً لمحمد علي !..

لذلك لا نذهب إلى ما ذهب اليه العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن في مقاماته ، من أن النقض كان سببه أن عبد الله بن سعود (بعث عبد الله بن كثير إلى

غامد وزهران بخطوط مضمونها أن يكونوا في طرفه وأمره ، فبعثوا بهـا إلى محمد علي ، فلم يرضَ بذلك ، وقال إنهم من جملة من وقع عليهم الصلح) ..

رواية الجبرتي :

يقول الجبرتي ، في أخبار سنة ١٢٣٠ هـ . إن المندوبين الذين أرسلها عبد الله ابن سعود إلى القاهرة لمقابلة محمد علي والحصول منه على اقرار الصلح الذي أجراه طوسون ، وصلا إلى مصر ، (**وكأن الباشا لم يعجبه هذا الصلح ، ولم تظهر عليه علامات الرضا بذلك ، ولم يحسن نزل الواصلين** ، ولما اجتمعا به خاطبها عاتباً على المخالفة ،فاعتذرا،وذكرا أن الأمير سعود المتوفى كان فيه عناد وحدة مزاج وكان يريد الملك وإقامة الدين .

وأما ابنه الأمير عبد الله فإنه لين الجانب والعريكة ويكره سفك الدماء ، على طريقة سلفه الأمير عبد العزيز المرحوم ، فإنه كان مسالماً للدولة حتى أن المرحوم الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة كان بينه وبينه غاية الصداقة ولم يقع بينهما منازعة ولا مخالفة في شيء .

ولم يحصل التفــاقم والخلاف إلا في أيام الأمير سعود ، ومعظم الأمر من الشريف غالب .

بخلاف الأمير عبد الله ، فإنه أحسن السيرة ، وترك الخلاف وأمن الطرق والسبل للحجاج والمسافرين) ..

رواية مانجان عن رفض محمد علي الصلح :

ويقول مانجان ان محمد علي سلم المندوبين النجديين – وهما شيخ الدرعية عبد الله بن محمد بن بنيان والشيخ العالم عبد العزيز بن حمد بن إبراهيم (سبط شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب)–رسالة يذكر فيها ما وقع من الوهابيين من أمور ، ويطلب من عبد الله أن يسلم حكم الدرعية إلى حاكم المدينة ، وأن يذهب إلى استانبول ليؤدي إلى السلطان حساباً عما فعله ، فالسلطان وحده يستطيع العفو عنه وأما محمد علي فهو مكلف بالحرب فقط !٠.

ويختم محمد علي رسالته قائلاً إن هـذه الطريقة هي الوسيلة الوحيدة إلى الأمان ، وإلا .. أرسل محمد علي حملة تأديبية جديدة) ..

ولم ينتظر محمد علي جواب عبد الله على رسالته ، وإنما شرع في تجهيز حملة جديدة ، لأنه كان مصمماً على المضي في الحرب [1] .

لما وصل المندوبان الى الدرعية وسلما الى عبد الله بن سعود رسالة محمد علي ونقلا اليه أقواله ، أسرع في الجواب على رسالة محمد علي ، ومما قاله في جوابه :

إننا لا نملك شيئاً من النفائس التي وجدها أبونا سعود في ضريح النبي ﷺ ، فكل ذلك بيع أو أهدي .

أما حكومة هذه البلاد فيمكنكم أن ترسلوا رجلاً من قبلكم لتمثيلكم عندنا واستيفاء العشر ، ويمكنكم أيضاً إخضاعنا الى ضريبة ندفعها اليكم طوعاً .

ولكننا نرجو إعفاءنا من الذهاب الى استانبول ،وأن تكونوا ترجماناً لمشاعرنا لدى الباب العالي) .

وأرفق عبد الله رسالته بهدايا كثيرة .

وقد رفض محمد علي قبول الهدايا ، وردّ على رسالة عبد الله رداً عنيفاً ، وتوعد بإرسال ابنه ابراهيم لتخريب الدرعية ، وأنه سيقود عبدالله الى استانبول حياً أو ميتاً ..

رواية ابن بشر :

ويقول ابن بشر ان سبب غضبة محمد علي وإرساله ابنه ابراهيم الى نجد ونقضه للصلح أن الإمام عبد الله غزا سنة ١٢٣١ هـ. عرباناً من حرب ومطير في مياه الحجاز ، كان يعتبرهم محمد علي من أنصاره . وقد أنذر هؤلاء العربان بمسير عبد الله فهربوا فأرسل عبد الله جيوشه فأغارت على عربان في الحرة وأخذوا منهم غنماً وإبلاً ، ثم رجع الى نجد فأمسك برئيس بلدة الرس . ويردف ابن بشر

---

(١) ومن أعجب الأشياء أن ابن بشر يقرل ان المندوبين عادا إلى مصر ، وانتظم الصلح !!. أي صلح ؟..

قائلاً : (وسميت هذه الغزوة غزوة محيط ومحرش ، لأنه حدث النقض من الروم بسببها ، لأنه ركب الى مصر رجال من أهل القصيم والبوادي وزخرفوا القول لمحمد علي وتلقى قولهم بالقبول ، فشمر في تجهيز العساكر الى نجد مع ابنه وابن زوجته ابراهيم ..) .

مؤتمر عبد الله وبيانه :

ويقول مانجان ان عبد الله بن سعود عقد،بعد تلقيه رسالة محمد علي، مؤتمراً من أفراد أسرته وزعماء البلاد ، وتذاكروا الموقف ، فأجمعوا على الحرب .

وهكذا بدأ عبد الله بن سعود في تحصين الدرعية ، وجمع المقاتلين، والأموال، وقد دفع هو وأفراد الأسرة السعودية مبالغ كبيرة ، وبعضهم باعوا ممتلكاتهم لأجل ذلك .

ثم أذاع عبد الله بياناً على الناس يقول فيه : لقد عقدنا مع السلطان صلحاً بواسطة طوسون باشا ، ولكن محمد علي مزّق هذا العهد ..

انه يريد منا أن نتخلى عن عقيدتنا لنعتنق معتقداته ، تلك المعتقدات التي تجعل من السلطان معبوداً،وتبيح السكر والربا والميسر وغير ذلك من المحرمات.

ان محمد علي نقض عهده،وهو متعطش الى دماء المسلمين يسفكها ، ولذلك صممنا على محاربته لنحتفظ بديننا ووطننا وشعوبنا التي تؤمن بوحدانية الله ، وسينصرنا الله على القوم المشركين .

وقد قرأ الأئمة والخطباء هذا البيان في المساجد .

ويزعم مانجان أيضاًان عبد الله بن سعود أرسل مندوبين آخرين الى مصر لمقابلة محمد علي وطوسون وهما محمد بن حسن وعبد الله بن عون فقال لهما محمد علي ان الوسيلة الوحيدة الباقية للنجاة هي الاستسلام المطلق ، فليفعل ذلك عبد الله قبل وصول ابني ابراهيم الى بلاده .. وسمع منه المندوبان وعيداً وتعنيفاً كثيراً .. ولما عاد المندوبان الى الدرعية ، أمرهما عبد الله بالصمت ، وتكلم هو فقال لجماعته : ان محمد علي يريد منا الخروج من ديننا وترك دعوتنا ، فصاحوا بصوت واحد : لن نفعل وسنقاتل عن ديننا وأوطاننا .